

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الوجه الثاني: أنه صَرَّفَ لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره. والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين؛ ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبى صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر؛ فوجب حملُ كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يُصان عن التكيف والتمثيل في حق الله عز وجل.

الوجه الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله عن ظاهره إلى معنى يخالفه قولُ على الله بلا علم، وهو مُحَرَّم لقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْأِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف:33]، ولقوله سبحانه: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء:36].

فالصَّارف لكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، **وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:**

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله كذا، مع أنه ظاهر الكلام.

الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام.

وإذا كان من المعلوم أنَّ تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولاً بلا علم، فما ظنُّك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟

مثال ذلك: قوله تعالى لإبليس: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِدْيٍ} [ص:75]، فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال: لم يرد باليدين اليدين الحقيقيتين، وإنما أراد كذا وكذا. قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟ وما دليلك على ما أثبتت؟ فإن أتى بدليل وأنى له ذلك، وإلا كان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته.

الوجه الرابع في إبطال مذهب أهل التعطيل: أنَّ صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً؛ لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

الوجه الخامس: أن يُقال للمُعْطَل: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول: لا. ثم يقال له: هل ما أخبر الله عز وجل به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول: نعم. ثم يقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعمي الحق على الخلق في هذه النصوص؛ ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا. هذا ما يقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أمَّا باعتبار ما جاء في السنة:

فيقال له: هل أنت أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: لا.

ثم يقال له: هل ما أخبر به رسول الله عن الله صدق وحق؟ فسيقول: نعم.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدا من الناس أفصح كلاما وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول: لا.

ثم يقال له: هل تعلم أن أحدا من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فسيقول: لا.

فيقال له: إذا كنت تُقر بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يخالف ظاهره بغير علم؟

وماذا يضريك إذا أثبت لله تعالى ما أثبتته لنفسه في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنة إثباتا ونفيا؟!

أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سُئلت يوم القيامة: {مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} [القصص: 65]؟

أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؛ فعمل المراد يكون - على تقدير جواز صرفها - غير ما صرفتها إليه؟